

الارمن، وأسروه مع باسيل بن سمباط الملقب بتتار، وذلك بالاضافة الى رجل اسمه سيلارت Cilart ، وآخر اسمه أتوم Atom.

## ٨٢- أعمال النهب المصرية لكليكية

وبعد ما تم أسرهم، جرى نقلهم إلى سيس، حيث أودعوا السجن في أحد المعابد، وبعد مضي عدة أيام استباح المسلمون المدينة، ونهبوها وسلبوها وخربوها، وأضرمو النيران في كل مرفق ومكان فيها، وعمت الحرائق وانتشرت في أرجاء المدينة، وكان هناك عدد لا يمكن تعداده من القتلى والأسرى.

وبعد هذا هاجم المسلمون المناطق الحصينة بحثاً عن المدافعين المتبقين، ورفض هؤلاء الاستسلام، وعندما أدرك المسلمون أن الحاق الضرر بالحصن الأعلى بات مستحيلاً، توجهوا نحو السهول والمناطق الجبلية المشجرة ، فأحرقوها بعدما نهبوا موجوداتها، وجرى تجميع عدد كبير من الناس في مكان اسمه كيا Kema ، وفي مكان آخر اسمه بكنكار Beknkar ، وكان هؤلاء من النساء والأطفال، وقد تم الهجوم عليهم على مرأى الجميع من بني جنسهم، وقد حاول هؤلاء المقاومة، وذلك على الرغم من عجزهم، لكن المسلمون أشهروا سيوفهم، وشرعوا على الفور في تقتيلهم، وكان عدد القتلى كبيراً جداً، ويقال بأنه بلغ عشرين ألفاً في هذا المكان، وبعد هذا حمل المسلمون الأسرى الأحياء معهم، وانطلقوا عائدين عبر طريق غير الذي دخلوا منه، وراحوا إلى باب أنطاكية، حاملين معهم كل ما وقع في أيديهم، وقد باعوا شطراً من منهباتهم وغنائمهم في أنطاكية.

## ٨٣- اعتقال الأمراء الأسرى في مصر

أخذ المسلمون، إثر ذلك، طريق العودة إلى مصر، حاملين معهم البارون ليون لتقديمه هدية الى السلطان، ولدى مشاهدة السلطان بارون

الأرمن وباسيل، عددهما أثنان من الذهب ومن الفضة، وحملها إلى القاهرة، وأسكنهما ومن معها في نزل صغير، وخصص لهما حرساً وخدماءً، وغمرهما بالتشريف والاحترام.

#### ٨٤ - بيبرس يبذل جهده في سبيل فداء سنقر الأشقر

وما أن سمع هيتوم بخبر ما حدث، حتى غرق في أحزانه، وتأثر قلبه، ولم يعد يعرف ما الذي عساه أن يفعله، ومع هذا وجد الملك خلال أيام الوسيلة الموائمة لتحرير ابنه، فأرسل رسلاً إلى السلطان للوساطة في هذا الشأن، والسؤال عن إمكانية تسليمه ابنه، مقابل أي طلب يطلبه السلطان، هذا ولم يكن السلطان على عجلة من أمره، ولم يرغب في إعطاء الحلول بسرعة، ومع ذلك لم يقطع حبل الحوار مع الملك، ولم ينقطع الملك من جانبه عن ارسال الهدايا.

وأضمر السلطان بيبرس في قرارة نفسه فكرة سرية، مفادها أنه كان له صديق حميم ومخلص، وكانا معا في قوات سلطان حلب عندما هاجمها هولاكو، ولدى هروب من نجا من المذبحة منها، وكان بيبرس الذي أصبح سلطاناً قد لجأ إلى الفرار هو وصديقه معا، غير أن صديقه الذي امتاز بشهامة نادرة، أثر انقاذ بيبرس، وفضله على نفسه، فأعطاه حصانا جيداً، وأمن له سبل النجاء، في حين توقف هو في مكانه حتى أخذه هولاكو أسيراً، وحمله إلى الشرق.

وبعد هذا نجح بيبرس من جهته بالوصول إلى سدة السلطنة في مصر، وعندما وقع ليون أسيراً بين يديه، تذكر أن الملك هيتوم كان بمثابة المستشار الأكثر صداقة مع الخان أبغا، فبعث إليه ليوحي له ويسأل عما إذا كان «خشداشه» مازال حياً، وقال لرسول الملك هيتوم: «قولوا للملك إنه إذا استطاع أن يطلق سراح خشداشي من بين أيدي شعب الرماة، وأن يعيده إليّ، فإنني بالمقابل سوف أطلق سراح ابنه

ليون»، وعندما بلغ هذا العرض إلى الملك، بدأ في تحضير هداياه، واستعد للسفر إلى الشرق لملاقاة الخان أبغا.

### ٨٥ - سفارات أرمنية لدى الخان

وبناء عليه حدث في سنة ٧١٦ (١٤ كانون الثاني ١٢٦٧ - ١٣ كانون الثاني ١٢٦٨) أن ذهب الملك هيتوم إلى حضرة أبغا خان في الشرق، والتمس منه الافراج عن خشداش السلطان بيبرس، الذي كان اسمه الحقيقي سنقر الأشقر، ورد عليه الخان بقوله: «إذا وجدته فسوف أعطيكه هدية»، فانطلق الملك يبحث عنه في كل مكان، وفتش في جميع الأرجاء عن سنقر الأشقر، فلم يعثر عليه، وأصابه اليأس والارهاق، فقرر العودة إلى بلاده، ثم بعث إلى السلطان بيبرس يخبره باستحالة العثور على سنقر، وكان جواب السلطان: «إذا لم يجلب سنقر لي، فإنني لن أحرر ابنه».

وفي عام ٧١٧ (١٤ كانون الثاني ١٢٦٨ - ١٢ كانون الثاني ١٢٦٩) قام الملك هيتوم، بعد تدارس القضية مع أخوته، بايفاد الأمير ليون بن سبارابت Sparapet إلى أبغا خان، ليطلب منه السماح له بالتجول في المعسكرات، وداخل المحلات السكنية البعيدة للبحث عن سنقر، وقد سمح الخان له بذلك، وأمر بفرز مجموعة من الجنود لمرافقته، واستطاع ليون ورجاله أن يعثر على سنقر، وقد حملوه وأحاطوه بالعناية، وقدموا الشكر للخان، ثم عادوا به إلى كليكية، وعند وصوله إلى سيس بعث إلى السلطان بيبرس يخبره بتحقيق طلبه.

### ٨٦ - احتلال بيبرس أنطاكية

حشد السلطان بيبرس قواته كلها، وهاجم مدينة طرابلس بكل عنف، وألحق بها أضراراً بليغة وكثيرة، ثم قاد جيشه بشكل مفاجيء، وسار به خمسة أيام بدون توقف في أثناء الليل وخلال النهار، حتى

انقض على مدينة أنطاكية المشهورة، وسيطر عليها خلال ثلاثة أيام، وكان فتحه لها يوم السبت السادس من أيار، وما من أحد يمكنه تقدير المذبحة التي ارتكبت في أنطاكية ولا عدد الأسرى، ولا حجم الثروات التي حملها المصريون إلى بلادهم، ولقد كان— والحق يقال— من بين القتلى أعداد كبيرة من أصول أرمنية، هذا وأمر السلطان بإعادة الناس الذين كانوا قدموا من كليكية إلى بلادهم، وسمح لهم بالمغادرة، كما سمح للأمير أنطاكية ولأسرته بالمغادرة دونها قيود إلى أنطاكية، وجدير بالذكر أن هناك من يقول بأن هذه المدينة قد وقعت في أيدي السلطان بسبب هذا الأمير، والله وحده الذي يعلم الحقيقة.

#### ٨٧— مبادلة الأمير ليون سنقر الأشقر

وعندما قرر السلطان العودة إلى مصر عبر أنطاكية، طلب من الملك هيتوم ارسال رهينة له لمبادلتها بابنه ليون، من أجل أن يقوم بتحرير هذا الأمير، مقابل سنقر الأشقر خشداش السلطان، وبعث الملك أوشين ابن أخته، وريموند زميل أوشين، وفاساك Vasak صاحب كنكي Can-، وكان ابنا لكوستاندين والد الملك، وفور وصول هؤلاء إلى السلطان، أفرج عن ليون بارون الأرمن، وعاد ليون إثر ذلك إلى كليكية محملاً بكثير من الهدايا، وجرى استقبال ليون من الشعب الأرمني بالفرح الكبير والابتهاج، وبعد مدة وجيزة حمل ليون سنقر الأشقر إلى حضرة السلطان، الذي فرح به كثيراً، وعظم سروره لدى رؤيته صديقه الحميم، وأعطى الأمير ليون إلى ابن سمباط الكثير من الهدايا الثمينة، وجرى استرداد الرهائن والعودة إلى كليكية.

#### ٨٨— تنصيب يعقوب الأول بطريكاً

وعقد الملك هيتوم في العام ذاته اجتماعاً كبيراً ضم الأساقفة، والحكام والأعيان الذين قدموا من الشرق إلى كليكية، وكان الاجتماع

في مدينة المصيصة، وقد أصدر أوامره بضرورة اختيار الرجل الموائم ليرأس الصرح البطريركي، ووقع اختيار الملك على الحكيم يعقوب، ووافق على ذلك مجلس الأساقفة، وبناء عليه جرى تعيينه بطريكاً، وكرس جاثليقاً للأرمن باسم القديس سرجيوس، وكان ذلك في الثاني عشر من شباط.

وقد حصل هذا التنصيب عندما كان ليون بارون الأرمن أسيراً عند المصريين، وقد تحرر فيما بعد، كما ذكرنا من قبل في شهر حزيران من السنة نفسها.

### ١٩- زلزال عام ١٢٦٩

في عام ٧١٨ (١٣ كانون الثاني ١٢٦٩ - ١٢ كانون الثاني ١٢٧٠) تعرضت كليكية إلى زلزال عنيف دمر العديد من القرى، خاصة في سفح الجبل الاسود، كما حول الكثير من المناطق الحصينة إلى أطلال، وجرى تدمير حصن سافانديكار Savandikar ، حيث قتل السكان جميعاً، وفي دير أركأكلين مات الكهنة والرهبان تحت أنقاض الأبنية، ودمرت الكارثة في المنطقة الجبلية عدداً كبيراً من القرى، وقلبت الأماكن عاليها سافلها، كما دمرت مناطق أخرى من بينها حصن دلنكار Delnkar .

### ٩٠- وفاة هيتوم الأول وابني القائد سمباط

وتوجه في السنة نفسها ليون، بارون الأرمن، إلى الشرق، للقاء أبغا خان، الذي استقبله بكل احترام وتقدير، وحمله الكثير من الهدايا لدى عودته إلى كليكية، وفي السنة نفسها، في ١٥ تموز توفي هيتوم ابن الوكيل الملكي للارمن، ودفن في دير القديس مليك Mlik ، وفي ٢٩ إيلول من العام ذاته التحق باسيل ابن القائد سمباط بالمسيح في طرسوس، ودفن في دير القديس مليك، وفي يوم الثلاثاء ٢٩ تشرين الأول من العام

نفسه، وعند غروب الشمس غادر هيتوم ملك الأرمن هذا العالم، والتحق بأجداده، وذلك عندما وافاه الأجل في برجريرد، في قرية أكير، ثم جرى نقل جثمانه إلى الدير المقدس في درازارك، ودفن في كنيسة القديس البطريك غريغور، وكان أثناء وفاته قد اعترف بأنه أرثوذكسي، وانتسب إلى الدين القويم باسم ماكير Macaire

#### ٩١ - استلام ليون الثالث للعرش

في عام ٧٢٠ (١٣ كانون الثاني ١٢٧١ - ١٢ كانون الثاني ١٢٧٢) تم بتاريخ ٦ كانون الثاني تنصيب ليون الثالث ابن الملك هيتوم ملكاً على الأرمن، وقد جرى ذلك في مدينة طرسوس، في كنيسة سانتا-صوفيا، وكان ذلك وسط حفل بهيج، حضره ممثلو جميع الأمم المسيحية، ذلك أنهم أصروا على المشاركة في هذه الأفراح التي تستحق الحضور والمشاهدة، وقد حظيت هذه الاحتفالات بحضور عدد كبير من الأشراف، وشهدت المناسبة الإفراج عن عدد كبير من السجناء، كما جرى تحرير العديد من قيودهم.

وبعد مضي أيام قليلة حيث انصرفت الجموع بعد انقضاء الاحتفالات، وذهب كل واحد إلى بلاده، توجه الملك ليون بزيارة شخصية إلى ايزورا، من أجل تفقد المنطقة، ثم عاد إلى اقليمه بكل سرور.

#### ٩٢ - تهديد جديد بحملة مصرية:

تحرك في السنة نفسها سلطان مصر، بيبرس البندقداري من جديد للهجوم على كليكية، غير أن الملك ليون أوفد إليه بعثة بمهمة خاصة، جعلته يعود إلى بلاده مصر.

هذا وقرر الملك ليون من جانبه التوجه إلى الشرق لزيارة أبغا خان الذي استقبله واعتنى به، وقدم له هدية تمثلت بعشرين ألف رجل

ليأخذهم معه إلى بلاده من أجل تعزيز الدفاع عنها، على أن يقوم الخان بزيارة بلاد كليكية بعد بضعة أشهر، هذا ولم يصطحب الملك ليون معه سوى عدد قليل من الرجال، ثم عاد إلى بلاده.

وقدم في العام ذاته ملك من ملوك الفرنجة اسمه ادوارد، على متن سفينة، ونزل في عكا، ومعه ألفي رجل، وقد توقف في المدينة منتظرا وصول ملوك آخرين مع أتباعهم.

وفي العام نفسه، في شهر تشرين الاول منه، ولد للملك ليون طفل ذكر، وكان ذلك في مدينة سيس، حيث عمت الأفراح جميع الأقاليم الخاضعة لسيطرته.

#### ٩٣- أحداث مختلفة

في عام ٧٢١ (١٣ كانون الثاني ١٢٧٢ - ١١ كانون الثاني ١٢٧٣) جرى في اليوم الذي ولد فيه سيدنا ومولانا سقوط ثلج عظيم، وفي يوم كانون الثاني تساقط الثلج فوق العاصمة سيس، ثم غطى بلاد كليكية كلها حتى شواطئ البحر.

وتوفي في العام نفسه، والشهر ذاته الحكيم القديس كيراكوس -Ki-rakos، والتحق بالمسيح، وحزن الناس والأعيان عليه.

#### ٩٤- مؤامرة ضد ليون الثالث

وحدث في السنة نفسها، أن كانت امرأة خلية للملك هيتوم اسمها مريم، وكانت منحدره من أصل مسلم، وقد تأمرت مع بعض الناس لاغتيال الملك ليون، بوساطة دس السم القاتل له، وانتظر المتآمرون المناسبة الموائمة لتنفيذ العملية، لكن قدرة الرب تدخلت، وسببت كشف المؤامرة والتحضيرات الاجرامية للمرأة، وكان ذلك عن طريق صبي في الحادية عشرة من عمره، وهكذا نجا الملك من الموت، ومن

آثار هذه المؤامرة، ولم يقم الملك بمعاينة هذه المرأة ولا المتواطئين معها بالعقاب الذي استحقونه، واكتفى بأن يكون سمحاً ورحيماً.

وأمر الملك ليون في العام نفسه ببناء حصن عظيم في لحف جبل طوروس مقابل قبر القائد المقدام أندرية، وعلى مسافة مسير نصف يوم، وذلك من أجل ضمان الدفاع عن هذا المعلم، ولحراسة الطريق الشهيرة Xozjor وقد نجز بناء الحصن في العام نفسه، وأطلق عليه اسم حصن كتاريك Katreac .

وجرى في العام نفسه تعميم ابن الملك في العاصمة سيس، وكان ذلك على يد البطريك السرياني أغناطيوس، وأغناطيوس هذا هو الذي تلقى الطفل لدى خروجه من طقوس التعميد، واختار له اسم طوروس، مثل عمه الذي كان قد قتل على أيدي المصريين في إحدى المعارك.

#### ٩٥ - محاولة اغتيال ادوارد الأول

عبر في العام نفسه واحد من عبيد الملك ادوارد البحر، ووصل الى عكا، وقد تمكن من التسلل إلى محيط الملك، وكان ذلك في أحد الأيام حيث جلس الملك بمفرده، مرتدياً سترة ناعمة، وكان ذلك بعدما أمر بانصراف خدمة من حوله، وهنا اقترب هذا العبد من الملك، وتوجه نحو أذن الملك، وأوهمه أنه يريد أن يهمس في أذنه سرّاً من الاسرار، وسحب في تلك الأثناء خنجره، ثم وجه ضربة أولى إلى صدر الملك، وحاول الملك أن يمد يده اليمنى الى سيفه، فعاجله العبد بطعنة ثانية، وضربه مجدداً بسلاحه..

## حواشي التاريخ المعزو إلى القائد سمباط الأرمني

- ١ — قلعة بابيروان، يعتقد أنها قلعة كاندير Candir ، وتبعد نحو عشرة كيلو مترات عن لامبرون في الجنوب الغربي منها.
- ٢ — اسم قلعة لامبرون بالتركية نامرون، على بعد ٤٠ كم من طرسوس إلى الشمال الغربي منها.
- ٣ — المعروف عن هذه القلعة أنها كانت موجودة في كليكية الغربية،
- ٤ — على مقربة من عين زربة.
- ٥ — وقع هذا الدير على الضفة اليمنى لنهر الفرات إلى الجنوب من كيسوم.
- ٦ — اسمها الحالي جييين Geben ، وقد قامت على نهر جيحان وعلى بعد ٤٠ كم عن مرعش.
- ٧ — هي قلعة سافوران الحالية، وكانت واقعة كما يدل اسمها — «صخرة ساراوند» — على أبواب الأمانوس، على بعد حوالي ١٥ كم إلى الغرب من حصن بيبي Hasanbeyli .
- ٨ — وقعت هذه القلعة خلف بلدة بيياس، على الطرف الشرقي لخليج اسكندرونة.
- ٩ — معلومات سمباط عن صلاح الدين وتاريخ الدولة الأيوبية ضعيفة ولا يمكن الأخذ بها.
- ١٠ — خلط المصنف ما بين أرناط، وريموند الثالث صاحب طرابلس.
- ١١ — كان الداهاكان الأحمر يعادل ديناراً ذهبياً عربياً واحداً.

- ١٢- قلعة وقعت إلى الغرب من سلوقية، على مسافة ٣٠ كم منها.
- ١٣- نهر صو هو النهر الأسود، وشكل الحد الذي فصل بين الممتلكات الأيوبية ودولة كليكية، هذا وتعلق الأمر هنا بالملك الظاهر غازي صاحب حلب.
- ١٤- كان هذا هو الدير الأكثر شهرة في كليكية، ووقع غير بعيد عن سيس في سفح جبل طوروس، وذلك قرب حصن كويتار Koplitar الحصين، وكان هذا الدير قد بني - أو رمم - في بداية القرن الثاني عشر من قبل طوروس الأول، وقد شغل دور المقر البطركي، والملكي أيضاً، وقد دفن فيه عدد من رجال الدين والسلطة، هذا وتقرر أن حصن كويتار قد وقع إلى الشمال الغربي من سيس، وعلى مسافة ١٥ كم منها.
- ١٥- كان دير أركأكلين موجوداً في ضواحي سيس، على الجبل المواجه لها.
- ١٦- كان دير أريغ يوجد - كما هو محتمل - على مقربة من كابان، في أعالي وادي جيحان.
- ١٧- كان دير سكيورا موجود أعلى بعد عدة كيلومترات في الجنوبي الشرقي من لامبرون وقد استخدم مدفناً للأعيان.
- ١٨- كان دير مليك مدفناً للعديد من أعيان الأرمن، وكان على مقربة من قلعة بابيروان بالقرب من طرسوس.
- ١٩- كانت قلعة سيانيكي على مقربة من عين زربة.
- ٢٠- وقعت قلعة كوتاف في وسط وادي جيحان.
- ٢١- كك هي كوكور حصار Cukurhisar على مقربة من زيتون.
- ٢٢- على مقربة من زيتون، وإلى الغرب منها، واسمها الحالي فيرنيس Fir-nis .
- ٢٣- هي كانكي Canci إلى الغرب من كك.

- ٢٤- وقعت قلعة سولاكان إلى الغرب من كابان.
- ٢٥- قلعة وقعت في وسط وادي جيحون
- ٢٦- على بعد ٢٠ كم إلى الجنوب الغربي من عين زربة.
- ٢٧- قلعة قامت على بعد ١٠ كم إلى الجنوب من المصيصة.
- ٢٨- قلعة قامت إلى الغرب من سيحان، على بعد أميال من كوربيتار، وإلى الشمال الغربي منها.
- ٢٩- قلعة مولوفونهي بالفعل قلعة ميلفان Milvan ، قريبة من سيحان، وعلى بعد ١٥ كم إلى الشمال الغربي من جولك بوغازي Gulek Bogazi .
- ٣٠- كوكلاك هي قلعة جولك عند مداخل كليكية وكيدوكية، على بعد أميال من لامبرون، وإلى الشمال الشرقي منها.
- ٣١- وقعت قلعة سيويل على بعد ٨٠ كم إلى الغرب من سلوقية التي كانت حاضرة كليكية.
- ٣٢- وقعت مانياون إلى الجنوب الغربي من قرمان.
- ٣٣- قلعتان قريبتان من بعضهما، ووقعت ألال إلى الغرب من مرسين.
- ٣٤- كانت ألبستان قلعة تقع عند ينابيع نهر جيحان.
- ٣٥- أخطأ المصنف بإشارته إلى حضور العادل، ذلك أن العادل كان متوفى، وكان سلطان مصر آنذاك الكامل بن العادل، وممرت بنا من قبل أخبار الحملة الصليبية الخامسة بكل تفاصيلها.
- ٣٦- خطأ صوابه نهر الدجلة.